الإهداء

إلى مستقبل العالم وأمل الشعوب ومرتجى النفوس وهواها مولاي وسيدي الحجة بن الحسن عجل الله فرجه الشريف.

مثوبة للمدافع عن العقيدة والشعائر الحسينية والدي خادم أهل البيت وشاعرهم ملاعطية بن علي بن عبد الرسول الجمري رحمه الله تعالى.

عبد المحسن ملا عطية الجمري

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين، والصلاة على رسول رب العالمين محمد النبي الأمي وعلى آله الأتقياء الميامين..

وبعد..

فعلى أثر خطاب ألقيته مساء يوم السادس من المحرم الحرام (ليلة السابع) لعام ١٤٤٠هـ في مأتم الحاج منصور بن نايم رحمه الله تعالى، تناولت فيه بعض المواقع التي تستنزف نفقات وطاقات الزوار في كربلاء ولا تمت للعتبتين الحسينية والعباسية بصلة سوى أن أصحابها الذين يملكونها يزعمون أنها ذات علاقة بالأحداث التي جرت على الحسين وأصحابه في كربلاء، منها محلات في السوق أسست باسم عبد الله الرضيع وعلي الأكبر والقاسم بن الحسن وكذلك مقامان لكفي العباس الأيمن والأيسر، تلقيت سيلا من ردود الأفعال المتباينة والمختلفة والتي تعبر عن أصحابها ثقافة وأخلاقاً، منها معتدلة متعقلة أحترم أصحابها كثيراً، ومنها متطرفة جهولة.

ولم يقتصر الوضع على انقسام المجتمع بين مؤيد ومخالف كحالة طبيعية تحدث في قبال أي أطروحة أو فكرة يراها البعض جديدة، وإنما تعدى الأمر لأبعد من ذلك كثيراً عندما ركب الحدث عشاق النزاعات والخلافات ممن يحشِّدون لكل فتنة، وقامت معهم بعض الفئات

المهمشة التي تسعى على الدوام للتلويح بأنها موجودة بأي صورة كانت من الصور العبثية التي عودونا عليها.

غير أن ما يقر العين أن جميع من خاض غمار هذه المعمعة من العلماء أو أساتذة الجامعات والطبقة المثقفة من الأكاديميين كانت لهم آراء متفهمة ومعتدلة وكثير منها كانت مطابقة تماما لرؤيتي. في حين ركز فريق من المفلسين ممن لا يجدون حجة يدفعوا بها كلامي على قشة الطرح والأسلوب أو التركيز على مفردة (دكاكين)، ولعمري ما تلفظت بها على نحو السخرية وإنما جاءت في مقام التوصيف والبيان، ولو أنهم كلفوا أنفسهم عناء الفحص لأدركوا جليا أن بعض هذه المزارات ينطبق عليها هذا التوصيف دقيا وحقيقة لا مجازا ولا استعارة قد يراد من خلالها التشبيه أو المبالغة، فهي بالفعل حوانيت تفتح بوقت وتقفل بوقت ولا يحق للزائر أن يأخذ منها شيئا للتبرك دون أن يدفع، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وكيف ما كان، فنحن لسنا شواذا من بين الأمم، فهكذا تبدوا صورة العالم الإسلامي بشكل عام كما تبدوا الصورة في المكون الشيعي بشكل خاص فيما يرتبط بالتأريخ والتراث والشعائر، فعدم التفريق بين الرمز والحقيقة هو أجلى مصاديق هذه الصورة، فكم من رمز مقدس لا حقيقة له، وكم من حقيقة مقدسة لا رمز لها. هذه الصورة العبثية هي نتيجة الجهل بالتأريخ أولا وأخيرا، أو تعمد تجاهل التأريخ لسبب أو لآخر. غير أن ما لا شك فيه أن هذا الجهل أو التجاهل للتأريخ يُبقي الباب مفتوحا على مصراعيه للعبث في المعتقدات والإستغراق في ابتداع شعائر ورموز لا أصل ولا حقيقة ولا تأريخ لها إلى ما لا نهاية، حتى تصبح هذه

الرموز مع الأيام ثوابتا يتعصب لها من لا ثقافة له، ثم لا يجوز لأحد الحديث عنها أو التشكيك فيها، بل لأجلها قد تُنتهك بعض الثوابت الأكيدة كحرمة المؤمن وحرمة النيل أو الإستخفاف منه.

و(رب ضارة نافعة)، فهذه السطور القليلة التي دونتها على عجالة من أمري ما كانت لتجد طريقها للنشر لولا الحملة الجهلاء التي قادها مجموعة من الغوغاء وحشَّد لها فريق آخر ممن اعتادوا ركوب مطايا الفتن محاولين جاهدين التدليس في مقاصد خطابي وحرفه عن أهدافه كأسلوب من أساليب الإرهاب الفكري المؤدلج، لغاية في نفوسهم؛ غير أن ما أرادوا طمسه أظهروه بجهلهم، وإني لأعرف هوية هذه الحملة بكل قياداتها ووجوهها المتلونة.

وبعد استثنائي العقلاء الذين تواصلوا معي بشكل مباشر وودي سواء كانوا مستفهمين أو ناقدين ممن أحترمهم وأجلهم كالأخ العلامة الشيخ علي الكوراني، وبعد استثناء الرعاع ممن لا ألومهم لجهلهم، يتبقى فريقان آخران نشطان قد لعبا دورا بارزا في تأليب الشارع.

فأما الأول فهم المنتفعون ـ سواء كانوا في كربلاء أو غيرها من بلاد المسلمين ـ ممن اتخذوا أهل بيت النبي مستأكلا ومعاشا، واتخذوا عشاق الحسين ـ سيما العنصر النسوي والبسطاء منهم ـ سخريا ومغنما من خلال مسرحياتهم وتمثيلياتهم وخرافاتهم، فيقتاتون على ولاء البسطاء وحاجاتهم وأمراضهم، ويبيعونهم باسم الحسين الشفاء من الأمراض، والإخصاب والذرية، ويبيعونهم قضاء الحاجات والأمنيات ـ طمعا في مكاسب ومصالح دنيوية مادية كانت أو سيادية

أو غيرها، ثم لايحق للخطباء والوعاظ في نظرهم أن يرشدوا الناس أو يحذروهم أو يأخذوا دورهم الطبيعي في هذا المجتمع كمصدر توعوي يأمرون بمعروف أو ينهون عن منكر.

وأما الفريق الآخر فهم المتربصون ممن اتخذوا السب والشتم تجارة يكسبون من خلاله وُد الجهلة وتبجيل المغفلين، رغبة في الوصول للشهرة التي عجزوا عن الوصول إليها حتى عبر قنواتهم البائسة رغبة في رفعة حظهم وإحياء ذكرهم الخامل، متعلقين بأذيال الشعائر ومظهرين أنفسهم رعاة لها في مواجهة المنحرفين بزعمهم، وكأن الشعائر ملك لهم أو حكر على مفاهيمهم ومعتقداتهم، أو ربما ظنوا في أنفسهم أنهم أصلٌ ومن خالفهم فرع عليهم..

وأمثال هؤلاء تعوزهم في العادة البرهنة ويفتقرون للحجة، ولكنهم عوضا عن ذلك يجيدون العبث بالوتر العاطفي والكلام الإنشائي الأجوف، ولعمري ما حاجتهم للحجج أو البراهين إذا كانت بضاعتهم لا تسوق إلا في محافل الجهلة وأندية البسطاء من العوام أساسا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

عبد المحسن ملا عطية الجمري

بني جمرة - مملكة البحرين

الأربعاء ٢٣محرم الحرام ١٤٤٠

الفصل الأول

مع القبور القديمة الحديثة

لقد طبع مؤخرا كتاب لمؤلفه الشيخ عباس شمس الدين يدور موضوعه حول المراقد المزيفة كما هو ظاهر من عنوانه..

وقد قدم لنا المؤلف المذكور إحصائيات رسمية وأرقام مخيفة لانتشار القبور المزيفة ومقامات الأحلام التي استحدثت أو اكتشفت في إيران خلال ثلاثين عاما، حيث ذكر أن عدد المراقد في إيران قد قفز من ١٥٠٠ مرقد في عام ١٩٧٩ إلى حدود ٨٠٠٠ مقام (تضم ١٠٧٠٠ مرقدا) في العام ٢٠٠٨م. [١]

وفي معرض حديثه عن ظهور مثل هذه القبور قال:

(إن عموم هذه القبور الزائفة نتجت إما خضوعا لقوة الأحلام والإعتقاد بصحتها، أو بحدوث ظواهر فوق طبيعية تُرجمت على أنها آيات دالة على وجود قبر لمقدس في الموضع، أو تفسير لوجود قبر تأريخي يمنح في النهاية إسما مألوفا أو إسما

(١) الشيخ عباس شمس الدين / المراقد المزيفة ص ٢٠ـ ٢٢

نمطيا. وفي بعض الحالة ينتج تزييف القبر عن تشابه في الأسماء او الصفات والتي أدت إلى تحريف في موضوع القبر، فتشابه ألاسماء مع أشخاص لهم قبور معروفة مع أسماء شخصيات معروفة أدى إلى نسبة هذه القبور خطأً إلى الشخصية الأشهر بينهما، كما هو الحال في قبور الكليني والحلاج وابن الجوزي. وإن عدم التميز بين المدفن ومحل الدرس أو المنزل للعلم أدى إلى الإشتباه كثيرا. ومن أبرز الإشتباهات بسبب هذا قبر الشريف الرضي المدفون في الكاظميين).

ويقول أيضا:

(ففي ايران مثلا تنتشر ظاهرة "إمام زادة " أي "إبن الامام"، وبالخصوص في القرى البعيدة، وبالرجوع إلى الإحصائيات والمراجع الرسمية يفيد أن انتشار هذه الظاهرة لايزال مستمر متنامياً مستغلاً زيادة التدين في أنحاء الجمهورية الاسلامية، ما دعى بعض الأفراد للإستفادة من بساطة تلك البلدات وحماستهم الدينية واحترامهم لأهل البيت ع فأقاموا عديدا من هذه المراقد باسم ابن الإمام اعتماداً على منامات مبهمة وكرامات ومعجزات مختلفة)

وقد يتوهم البعض أن كثرة هذه المزارات يُعتبر عاملاً جاذباً وجالباً للزوار وللسياحة الدينية وباعثا على الثقة والإطمئنان العقدي في نفوسهم، غير أن هذا المعنى في تصوري خاطئ جدا وإسقاطاته على خلاف ذلك تماما في زمن أصبحت المعلومة فيه سهلة المنال والحقيقة معبدة الطريق، وإن ظهور قبور مستحدثة بين الفينة والأخرى، سيما تلك التي تظهر على أثر

أوهام أو أحلام أو تخرصات هو من أخطر التحديات الشعائرية وأكثرها تخليطا على الزائرين وإرهاقا لهم واستهلاكا لخشوعهم وخضوعهم، فعند ما يفاجأ العامة في كل يوم بقبر أو مزار جديد غريب يحمل إسما جديدا وتُدرج له رحلة جديدة في برامج السياحة الدينية والعبادية والشعائرية، وتبذل للوصول إليه المزيد من الأوقات والأموال، فإن ذلك قد يحملهم على إعادة النظر ومن ثم الشك في كل معلم مقدس، حتى يطال التشكيك في نهاية المطاف المعالم الثابتة والمرتبطة بالعقيدة ارتباطا وثيقا والتي لم تطالها الشكوك من ذي قبل، وذلك حاصل فعلا في متغيرات الخطاب وأخلاقيات الكثير من الشيعة.

ويبدو أن الحكومة الإيرانية قد تنبهت لهذه المشكلة، فقد نقل لي أحد إخوتي أنه التقى بالعلامة الكبير والمحقق القدير السيد محمد رضا الجلالي حفظه الله ونفع بعلمه، في كربلاء المقدسة على هامش مؤتمر أقيم باسم العلامة الشيخ إبن فهد الحلي في عام ١٤٣٩ هـ، وأنه سأله عن صحة القبور المعروفة باسم (إمام زاده) المنتشرة في إيران، فقال: لقد كان هناك توجه لإزالة أكثر هذه المراقد والمقامات، وقد استشاروني في ذلك فقلت لهم: دعوها لعله يأتي يوم نقف على حقيقتها أو نظفر بشيء حولها.

ثم أن هناك ثمة مشكلة أخرى تطالعنا حول نفس الأماكن المقدسة المرتبطة بسيرة الأئمة (عليهم السَّلام)وآثارهم المباركة، حيث المبالغات والإستغراق ومن ثم الوقوع في كثير من المحذورات والتجاوزات الشرعية، لينتهي الأمر بالبعض لتقديس الأحجار نفسها والسلام عليها عوضا عن السلام على من أقيم الأثر باسمه، فجعلت (القطارة) على سبيل المثال التي تُعبر عن

كرامة حدثت لأمير المؤمنين ع غاية تزار ويلقى عليها التحية والسلام كما تلقى على المعصوم عند زيارتنا لقبره أو لآثاره، وليس ذلك وحسب، بل يطلب الزائر من هذه الصخرة الشفاعة عند الله تعالى في آخر تلاوته للزيارة.[1]

إن هذا الإستغراق الخطير لم يقف عند هذا الحد وحسب، بل رمى بعيداً جداً حيث أصبحت فكرة تقديس أي شيء ـ مهما كان هذا الشيء ـ أمراً مقبولا جداً، وفي بعض المجتمعات البسيطة تلقى رواجا سريعا أيضا، فلا يوجد ثمة رادع أن يُقدس جسر منصوب او شجرة نابتة أو عمود كهرباء أو جرافة حملت راية باسم الحسين أو طشت يُعجن فيه خبزا لزوار الحسين ع صار يعرف بعد ذلك باسم (مقام المعجانة)، وكل ذلك شاهدناه على شبكة الإنترنت ووسائل التواصل بالصوت والصورة، ولا يزال لمن أراد أن يستبين.

كل ذلك ولم نجد في مقابل هذا صوتا رادعاً وشاجباً من أهل الحل والعقد يناسب حجم هذه التجاوزات ـ سواء في العراق أو إيران ـ، وإنما تَركُ الحبل على الغارب هو المظهر السائد، ولا أدري لماذا هذا الموقف الغريب، غير أن (أهل مكة أدرى بشعابها) كما يقال، إلا أنني أعلم يقينا أن مثل هذه التجاوزات يجب أن تقف عند حد بأسرع وقت، وأن رد الفعل الكبير الذي أثاره خطابي السالف الذكر أظهر مؤشراً خطيراً جداً في تحيز مجتمعاتنا للبدع وتعصبهم للإنحرافات العقدية، وأن هناك ثمة منتفعين يرعون عملية تجهيل المجتمع الشيعي لغرض ما وعلى

(١) الزيارة كما وردت عند القطارة : (السلام عليك ياقطارة حيدرة الكرار السلام عليك ياقطارة امير المؤمنين السلام عليك ياقطارة يعسوب الدين السلام عليك ياقطارة سيد الوصيين السلام عليك ياقطارة اسد الله الغالب على بن ابي طالب ورحمة الله وبركاته إلى تجد ما لاتقوم له السماوات والارض : ياقطارة امير المؤمنين اشفعي في الجنة فان عند الله شأن من الشأن .

العلماء مسئولية تصحيح مثل هذه التجاوزات العقدية الخطيرة التي تعصف بمجتمعنا، وإن التواني وعدم المبادرة لا يصب في صالح أي حركة تصحيحية تأتي لاحقا.

ومما لاشك فيه عندي أن المقدسات والشعائر ستكون المدخل الأوسع لضرب التشيع من الداخل من قبل الإستكبار العالمي والمتربصين للقضاء على الإسلام، وهناك مؤشرات واضحة يلاحظها جيداً المراقبون، فظهور بعض الطقوس الجديدة بشكل مفاجئ والتي ألحقت بالشعائر وتعصب لها أصحابها ورعوها أكثر من رعايتهم للفرائض لم يأت عبثاً ولا صدفة، فهناك أصابع تعبث وعقول تفكر وتخطط وأدواتهم التنفيذية هم الجهلة والحمقى سواء من العامة أو من بعض المنتسبين لأهل العلم، وعلى العلماء أن يتصدوا بجد لتصحيح هذا الإنفلات الخطير قبل أن تعصف بنا جمهرة الجهل ويستقوي علينا الجاهلون ثم ندعوهم فلا يستجيبون. وقد جاء في وصية أمير المؤمنين ع لولديه الحسنين:

(لاَتَتْرُكُوا اَلْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَاَلنَّهْيَ عَنِ اَلْمُنْكَرِ فَيُوَلَّى عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلاَ يُسْتَجَابُ لَكُمْ) (١)

كما أفصح الحديث النبوي الشريف عن أهمية دور العلماء في التصحيح، خصوصا عندما يصل التصعيد في تجاوزات المجتمع إلى البدع، فيقول (صلَّى الله عليه وآله):

(إِذَا ظَهَرَتِ الْبِدَعُ فِي أُمَّتِي فَلْيُظْهِرِ الْعَالِمُ عِلْمَهُ، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ) (٢)

---

(١) الشريف الرضي / نهج البلاغة (٤٧ من وصية له # للحسن والحسين)

وفي حديث آخر عن الصادقين عليهما السلام قالا:

(إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه فإن لم يفعل سلب نور الإيمان) [٣]

(٢) الشيخ محمد بن يعقوب الكليني / الكافي ١/ ٥٤
(٣) الشيخ محمد بن علي الصدوق / عيون أخبار الرضا ٢/١٠٣/٢

الفصل الثاني

استعمال الذاكرة

مما لا شك فيه أن لكل رمز ارتبط بمعنى مقدس قدسيةً مشتقة من ذات المعنى الذي ارتبط به أو عُلق عليه، ومهما شككنا بقداسة بقعة من البقاع فإننا كموالين لأهل البيت (عليهم السَّلام) لسنا نشك أبداً في القداسة الأزلية لأرض كربلاء أو القيمة المعنوية العظيمة والعملاقة المختزلة في تراب هذا الطف.

غير أنه من جهة أخرى ليس من المنطق ولا التعقل بمكان تقديس كل نصب أو رمز لمجرد وجوده في نطاق هذه البقعة المباركة ـ كما يتوهم بعض البسطاء وإن تزيا بعظهم بزي العلماء ـ إلا وفق ضوابط لا يجهلها المتشرعة.

ويطالعنا هنا مثال لمسجد بُني في بقعة مقدسة، وظاهر الحال أنه بني من أجل إقامة الصلاة، غير أن النبي (صلَّى الله عليه وآله) أمر بهدمه وتسويته بالأرض، وما اكتفى (صلَّى الله عليه وآله) بذلك حتى أمر أن يُتخذ مجمعا للقاذورات ومحرقة للجيف، ألا وهو المسجد

الذي عُرف بعد ذلك بمسجد ضرار. وبخلاف ذلك تماما كان تعامله (صلَّى الله عليه وآله) مع مسجد قبى الذي بُني على أطراف المدينة حيث أولاه (صلَّى الله عليه وآله) عناية واحتراما كبيرين.

فلماذا التفريق بين المسجدين؟

فمن الناحية المادية فإن المسجدين لا يختلفان كثيرا كونهما بُنيا من الحجارة والطين، بَيد أنهما على طرفي نقيض من الناحية المعنوية، فالغايات التي قام عليها المسجدان كفيلة أن ترفع من مكانة أحدهما والحط من مكانة الآخر. وهكذا نجد النبي (صلَّى الله عليه وآله) من خلال هذا السلوك يؤكد على أن مسجدا أسس من أجل ضرب الدين لا يحترم ولا يكتسب قداسة أبداً وإن سُمي مسجدا أو أقيم في قلب المدينة المقدسة، وأن هدمه أولى من الإستفادة منه في مصالح المسلمين ليستلهم المسلمون من ذلك درسا عقدياً مهماً، وهو أن ما لم يؤسس على أساس حق أو يرا به وجه الله تعالى لا يستحق الإحترام ولا ينال مرتبة القداسة بوجه، بينما يقول الحق في شأن مسجد قبى الذي بُني بأطراف المدينة: (**لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ**). ومن خلال هذه الآية وما قبلها من سورة التوبة نعرف أن الفرق بين المسجدين كالفرق بين الضرار والتقوى.

وبالتالي فقداسة أي بناء أو أي نصب لا تكون بالنظر إلى موقعه وإنما بالنظر إلى التاريخ الذي ارتبط به والنوايا التي أُسس عليها ولأجلها. وعلى ذلك، فلكي نتعرف على حقيقة وجود

قدسية ما لأي بناء ما من عدمها علينا أولا التفتيش في حنايا تأريخ البناء نفسه في محاولة للإجابة على ثلاثة إستفهامات ضرورية وهي (متى وكيف ولماذا).

وكذلك الحال عند وقوفنا على أي مقام أو مرقد ومنها مقامات كربلاء غير الثابتة علميا ـ أو لنقل الافتراضية او التمثيلية او التشبيهية ـ وما يطلق عليها أحيأنا بـ (الشبيه)، يقتضي منا البحث عن إجابات وافية لـ (متى وكيف ولماذا).

وأعني بهذه المقامات: المخيم (خيمكَاه)، ومقام شير فضة، ومقام الكف الايمن، ومقام الكف الايسر لأبي الفضل ع، ومقام الرضيع ع (موضع مقتله)، ومقام الامام الصادق ع، ومقام الامام المهدي ع، ومقام الأكبر (محل مصرعه).

القول في الشهرة

في خضم التراشقات والجدليات التي صاحبت خطابي المذكور طالعتنا بعض المشاركات المتميزة نوعا ما، ومن هذه المشاركات استفتاء وجه إلى سماحة المرجع الديني آية الله السيد صادق الشيرازي دام ظله الوارف، وتناقلته بعض المواقع الإلكترونية.. وهو كالتالي..

سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي دام ظلة العالي: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ماهو موقف الشرع من هذه المقامات الموجودة في كربلاء (مخيم الحسين، كف العباس، مكان مقتل علي الاصغر وعلي الاكبر) هل حفر الإمام بئرا في كربلاء ام لا؟ وشكرا

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الشهرة المسلمة في هذه الامور وأمثالها من الحجج الشرعية والله العالم.٢١محرم الحرام ١٤٤٠هـ ق

وتعليقا على ذلك نقول:

لاشك أن كلام الفقيه ينبغي أن يُحترم، ومن الواضح تماما أن الفقيه هنا لم يشخص الموضوع ولم يتناول المصداق بشكل مباشر، وإنما أجاب جوابا عاما يتناسب مع ناموس الفقهاء، فبيَّن سماحته بجوابه الآلية المعتبرة في تشخيص حقيقة المقامات سواء كانت في كربلاء أو غيرها دون ذكر رأيه الصريح في حقيقة هذه المقامات، وإنما أحال ضمناً التشخيص للآخرين، وبلا شك فإن جواب سماحته مما اتفق عليه أهل العلم في التعرف على المزارات والمقدسات والآثار عموما، وقد أشار إلى ذلك أيضا سماحة العلامة الشيخ علي الكوراني في خطابه الموجه لنا، كما أشار إلى نفس هذا المبنى بعض علماء النجف في حديثهم عن المقام المعروف بمقام (شريفة بنت الحسن)..

وبعيدا عن جدلية وجوب الأخذ برأي الفقيه في تشخيص مثل هذه المواضيع من عدمها فإن القدر المتفق عليه بين الفقهاء والمحققين أن الشهرة كافية لاعتبار المقامات رموزا مقدسة. غير أن الشهرة ليست حاكمة على نحو الإطلاق، سيما إذا كانت الشهرة مستحدثة كما هو الحال في شأن المقامات التي نحن بصدد الحديث عنها، فنحن نعرف متى وكيف بدأت هذه الشهرة،

والقدر المقطوع به أن هذه الشهرة عمرها لايزيد على ثلاثة أو أربعة قرون على أبعد الإحتمالات ومع كثير من المبالغات أيضا في القديم منها، وهو عمر الأقدم من هذه المقامات هذا بعد افتراض أنها اشتهرت من حين تأسست.

وبالتالي فالشهرة التي نتحدث عنها هنا ماهي إلا شهرة نشأت عند البسطاء وهي متقاطعة مع الشهرة الحاصلة عند العلماء والباحثين، وهنا ينبغي أن تُحكم المرجحات، وهو أساس الصناعات لنيل الهدف والوصول إليه. وإنما نحتاج إلى الشهرة إذا كنا نجهل الموضوع وأما إذا ما علمنا بأن هذه الشهرة قامت على أساس خاطئ فحينئذ لا قيمة لها البتة، ونظير ذلك حاجتنا إلى معرفة جهة القبلة في البلد الغريب، فإنما نستعين بمساجد أهل ذلك البلد وكذلك قبورهم فيما لو كنا نجهل جهة القبلة، وأما مع حصول العلم فلا قيمة للعرف ولا الشهرة، فإذا ما حصل العلم وجب العمل بمقتضاه، وإذا كان ما تعارف عليه أهل البلد يخالف العلم القطعي فعلى أهل البلد أن يصححوا قبلتهم وفق ما استجد لهم من علم وليس على العالم أن يتبع قبلة أهل البلد المخالفة لما يعلمه.

وعليه فإنه لا يجوز أن تكون مثل هذه الشهرة حاكمة أو معتبرة، خصوصاً مع وجود أدلة وقرائن تخالف ذلك، وحال هذه الشهرة كحال عمود الكهرباء الذي اشتهر في قضاء الرميثة بقداسته وصار مزاراً للناس، وقد وضع بجانبه صندوق من أجل التبرعات وأصبح محلاً تُعقد من حوله الأقمشة الخضراء ويتوسلون به، وإذا ما تُرك الناس على سجيتهم فسيبقى هذا العمود

مقدسا لعشرات ومئات السنين أيضا حتى تكون شهرته تساوي شهرة مقامي كفي أبي الفضل العباس روحي فداه، ثم يصبح مع الأيام من الثوابت التي لا مجال للتشكيك فيها.

وقد نقل العلامة المحقق السيد جعفر العاملي حفظه الله تعالى ونفعنا بعلمه في كتابه (زينب ورقية) عمَّن حدثه: أنه سمع من العلامة الجليل السيد محمد صادق الروحاني (صاحب كتاب فقه الصادق) أنه قد صُنع في إيران في عهد مرجعية آية الله السيد البروجردي رحمه الله شباكاً ليوضع على القبر الذي ينسبونه إلى [....] [1]، فكانوا يدخلون ذلك الشباك إلى مدن إيران ويبقى فيها مدة شهر أو أقل أو أكثر. فلما أرادوا أن يأتوا به إلى مدينة قم منعهم آية الله السيد البروجردي من ذلك على أساس أنه لم يثبت أن القبر المذكور هو لـ [....]، وإدخاله إلى قم في عهد مرجعيته سوف يعطي الإنطباع بموافقته رحمه الله على نسبة القبر المذكور إلى [....] وهذا ما لا يرضى السيد بأن يُنسب إليه أو يُظن أو يُتوهم في حقه، فلم يأتوا بذلك الشبَّاك إلى مدينة قم بسبب هذا الموقف.[2]

ولاشك أن ترك العلماء للعامة وإطلاق العنان لهم وعدم زجرهم في تقديس وتعظيم ما يشاؤون إعتماداً على مقولة أن ذلك الشيء عبارة عن رمز ربما ذكرهم بأهل البيت ومآسي أهل البيت، أو أنه وسيلة لإدرار الدموع، أو بحجة أن ذلك الشيء يتواجد في بقعة مقدسة وأنه يستمد قداسته من نفس البقعة ـ وهي الأعذار التي تعلق بها البعض ـ يفتح الباب على مصراعيه لتقديس أعمدة الكهرباء وما سواها كذلك لاتحاد العلَّة، وإذا قلنا بأن هذه الأعذار

(١) فضلنا عدم ذكر الإسم ، ومن أراد فليرجع للمصدر .
(٢) سيد جعفر مرتضى العاملي / زينب ورقية ص ١٤٣ .

المذكورة تبرر تقديس مقام كفي العباس الذي لا أصل ولا حقيقة تأريخية له، فإن مثل هذه المبررات يمكن إسقاطها على العمود المذكور أيضا بلا فرق.

ثم أننا لم نسمع من قبل متحدثا عبَّر عن هذه المقامات بأنه مجرد رموز، وإنما كانوا يطلقون عليها مفردة (مقامات)، وإن سلمنا جدلا بوجوب احترام هذه الرموز تفرعاً عن احترام مَن تنسب إليه فإن الإطلاق في ذلك ليس له حدود، وعلى هذا الأساس فإننا نجد في الإستغراق في تقديس مثل هذه الرموز أمرا عقائدياً بالغ الخطورة، إذ يؤدي ذلك الى الإستدراج الذي وقعت فيه الأمم في الزمن الأول حينما استغرقوا في تعظيم أفراد كانوا يعتبرونهم من الأولياء فأقاموا لهم رموزا تذكارية غير أنهم عبدوها بعد ذلك، وهذه إشارة يفهمها كل لبيب وعاقل متوسع في ثقافة الأديان.

وخلاصة الكلام: إن شهرة كهذه الشهرة غير كافية لجعلنا نقبل باتخاذ معالم ما مقدسة وموضعا للتبرك والنذور، سيما إذا ما لوحظ في المقام أن هذه المقامات قد اتخذت من حين نشأتها كوسيلة للإرتزاق والعبث في عقائد وثقافة الناس. ولو كانت الشهرة كافية على أي حال اتفق لكان الأولى بعلمائنا جميعا من دون مخالف اعتبار قبر السيدة زينب هو نفسه الذي بالشام اعتمادا على شهرة هذه النسبة، ومع أن هذه الشهرة قديمة جدا تفوق بكثير شهرة المقامات محل البحث، وأنها شهرة مرتبطة بعين حقيقية وقبر مُشاهَد ومعروف، فأنا نجد من علمائنا العظام من نفى بشدة أن يكون هذا القبر للعقيلة زينب (عليها السلام)، ومن هؤلاء

العلماء السيد محسن الأمين في كتابه أعيان الشيعة، حيث يرى أنها دفنت في المدينة ولم تخرج منها، غير مكترث لهذه الشهرة ولا مراعي لها.

ويعجبني الجواب الصادر عن مكتب سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد إسحاق الفيَّاض دام ظله أبَّان تبييضي لهذه الوريقات، حيث أجاب على نفس الإستفتاء المتقدم كما ظهر متداولاً في وسائل التواصل بقوله: **(يراجع في تحقيق ذلك أهل التواريخ)** [1]. وذلك عين ما أكدنا عليه وما زلنا نؤكد.

وما ينبغي ان ننتبه إليه هاهنا أيضا أن الجنبة الشرعية التي يجب أن تراعى لا تقف عند ثبوت هذه المقامات من عدمها أو عند موقفنا منها كمقامات ورموز مجردة كما يُفهم من الإستفتاء المتقدم، وإنما يتعلق بخلل وإشكال قائم حتى مع ثبوتها وثبوت مواقعها الحقيقية، وهو الإستثمار الشخصي لهذه المواقع بالشكل الذي يوهم الزائرين أن الأموال التي يتبرعون بها تصب في خدمة المقامات المقدسة في هذه البقعة المقدسة، فالسواد الأعظم من الزوار سيما من الجاليات الأجنبية من الهنود وغيرهم لايعلمون أن هذه الأموال التي يتبرعون بها لهذه المقامات محل البحث تدخل في جيوب أفراد لا صلة لهم بالعتبات المقدسة ولا توجد لهم أي

علاقة بالمرجعية العليا، وهؤلاء يستحوذون على جميع ما يرد من ذهب وأموال لأنفسهم، وما أكثر الذهب الذي يجلبه الهنود لمقام الطفل الرضيع أرواحنا فداه كما أخبرني من له اطلاع بالأمر. وأما سؤال المرجعية عن بعض الأحداث التي جرت في كربلاء كحفر الحسين ع بئراً

(١) وأضاف أيضا : والظاهر أن تلك التحديدات على الإجمال بحسب البقعة المباركة ، ولا تحديد عليها بالخصوص .

عند المخيم، فهذا الموضوع لا علاقة له بخطابنا البتة، وهذا يدلنا على أن السائل نفسه لا يفرق بين تأريخ الطف وبين المقامات التي اتخذها الناس رموزا لبعض مفردات ذلك التاريخ أو أنه تعمد التدليس ليوهم الناس أننا نشكك في أصل التاريخ، والحال أننا لم نشكك في تاريخ الطف، ولم نقل أن العباس لم تقطع له يد أو أن الحسين لم يجتمع مع عمر بن سعد أو لم يحفر بئرا خلف المخيم، ولقد قلت بالحرف في الخطاب الذي أثار جدلاً واسعاً أن الإمام الحسين ع خط برمحه خطاً وقال احفروا هاهنا؛ وحفروا ونبع الماء، وما حققه المقرم أنهم شربوا منه حتى ارتووا ثم غار الماء وطلبوا البئر فلم يروه. والبئر من يومه اندثر بمشيئة الله تعالى. فأنا لم أشكك في مفردة من مفردات التاريخ المشهور والمعروف، وإنما جل كلامي كان منصبا في حقيقة هذه المقامات التي اتخذها الناس مزاراً بمعزل عن أصل الحدث وحقيقته.

فمما يؤسفني بشدة أنه لا توجد آثار حقيقية ذكرها المؤرخون وكتاب السير من بين المقامات المتناثرة بأرض كربلاء سوى قبري الحسين والعباس روحي فداهما. وبالرجوع إلى الروايات المتعلقة بزيارة الحسين ع أو المتعلقة بقبره الشريف نجد أنه لا توجد رواية واحدة أشارت تصريحاً أو تلويحاً إلى شيء من هذه المقامات بعينها (سوى القبرين المذكورين)، بل وردت نصوص تأريخية مهمة جداً كاشفة عن حقيقة الحال بشكل جلي وواضح تفيد أن قبر الحسين ع نفسه قد كُرب في فترة من الفترات وأجري عليه الماء حتى مُحي أثره لولا أن البعض من الموالين والمحبين تتبعوا آثاره فأظهروه ثانية، ولم يقف الأمر عند هذا القدر، بل هدمت البيوت التي حول القبر أيضا وسوِّيت بالأرض. قال ابن الأثير في تاريخه:

في هذه السنة (٢٣٦) أمرالمتوكل بهدم قبر الحسين بن علي وهَدْم ما حوله من المنازل والدور، وأن يُبذر ويُسقى موضع قبره، وأن يمنع الناس من إتيانه فنادى بالناس في تلك الناحية من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة حبسناه في المطبق، فهرب الناس وتركوا زيارته، وخُرب وزُرع.[١]

وفي رواية الأصفهاني أن الديزج بعد هدم بناء القبر بأمر المتوكل كرب ماحوله نحو مائتي جريب [٢] ووكل به مسالح، بين كل مسلحتين ميل، لا يزوره أحد إلا أخذوه ووجهوه إليه. [٣]

وقال نور الدين الشاهرودي في كتابه تاريخ الحركة العلمية في كربلاء:

وعلى عهد خلفاء بني العباس، حيث اشتد إقبال وتحمس جماهير الناس بشكل غير عادي لزيارة الحسين ع، وكثرت الموجات البشرية المتجهة إلى حيث القبر الشريف، بادر الخليفة العباسي هارون الرشيد إلى تضييق الخناق على زائريه، وأمر بقطع واستئصال شجرة السدرة التي كانت معلماً هاماً لترشيد الناس إلى موقع القبر، كما أمر بحرثه وتسويته مع الأرض وهدم الأبنية التي كانت تحيط من جوانبه.

وفي الفترة من عام ٢٣٦ وحتى عام ٢٤٧ للهجرة كان قبر الحسين ع وزائروه عرضة للتنكيل والبطش من جانب الخليفة العباسي المتوكل الذي أمر بوضع سرية من الجنود تتولى مهمة منع حشود الزوار من التجمهر والتجمع حول القبر الشريف أو التقرب منه، ولم يكتف

(١) عز الدين أبو الحسن الموصلي / الكامل في التاريخ ٦ / ١٠٨، ونحوه في مآثر الإنافة ١ /٢٣٠ .
(٢) الجريب مقدار من الأرض المزروعة . قيل يبلغ ٣٦٠ ذراع مربع.
(٣) أبو الفرج الأصفهاني / مقاتل الطالبيين ص ٢٨٧ . والجريب مقدار من الأرض المزروعة . قيل يبلغ ٣٦٠ ذراع مربع.

بهذا القدر، بل أمر بهدم قبر الحسين ع والقضاء على أي أثر أو معلم له، وذلك بحرث موقعه وإطلاق مجرى الماء نحوه... [٤]

ويقول العلامة السيد محسن الأمين العاملي صاحب أعيان الشيعة:

إن التعامل السيئ المتوكل[١] مع قبر الحسين ع قد ابتدأ سنة ٢٣٦ ثم عاد الكرّة سنة ٢٣٧، ثم فعل مثل ذلك سنة ٢٤٧، وفيها قتل المتوكل.[٢]

ويتضح مما تقدم أن المتوكل أراد طمس القبر ثلاث مرات على أقل تقدير، وبالنظر للروايات التي ذكرها الشيخ الطوسي في أماليه وأبو الفرج في مقاتله تبدو لنا خمس صور من صور الإعتداء على القبر الشريف.

فأما الأولى فهي المروية عن عمر بن الفرج الذي أمر بحرث القبر بأمر من المتوكل، فجاءت البقر ومرَّت على القبور كلها فلما بلغت قبر الحسين ع لم تمر عليه، فضربها عمر بن الفرج بالعصى حتى تكسرت عليها فما جازت القبر. [٣]

وأما الثانية: فهي المروية عن الديزج[٤] الذي نبش القبر ووجد بارية جديدة وعليها بدن الحسين ع ووجد منه رائحة المسك، فترك البارية على حالتها وبدن الحسين على البارية، ثم أمر

---

(٤) نور الدين الشاهرودي / تاريخ الحركة العلمية في كربلاء ص ٩ .
(١) كذا ، ولعلها (للمتوكل) .
(٢) تاريخ الحركة العلمية في كربلاء ص ١٠ / مصدر سابق .
(٣) محمد بن الحسن الطوسي / أمالي الطوسي ص ٣٢٥ .
(٤) الديزج كان يهوديا فأسلم كما ذكر أبو الفرج في مقاتله ، وذكر كذلك أن الديزج حين كرب حول القبر وبلغ القبر لم يتقدم إليه أحد فأحضر قوما من اليهود فكربوه . (المقاتل ص ٢٨٧)

بطرح التراب عليه وأطلق عليه الماء، وأمر بالبقر لتحرثه فما وطأته البقر، وكانت ترجع عن الموضع، وقد حلف لغلمانه بالأيمان المغلظة لئن ذكر أحد هذا ليقتلنه، ثم ادَّعى بعد ذلك للمتوكل أنه حفر وعمَّق فما وجد شيئاً، وأنه مخره بالماء وكربه بالبقر. (٥)

وأما الصورة الثالثة: فما ذكره المسعودي من أن الديزج أمرالفعلة بنبش القبر وإنهم انتهوا إلى الحفرة وموضع اللَّحد فلم يروا فيه أثر رِمَّةٍ ولا غيرها.(٦)

وأما الصورة الرابعة: فهي أيضا مروية عن الديزج، ويبدو من سياقها أنها آخر محاولة في زمن المتوكل حيث مات المتوكل بعدها بأيام قليلة، وحاصلها كما يروي الديزج أنه أمر غلمانه بحفر القبر فخرج لهم من موضع القبر قوم حالوا بينهم وبين ما أرادوا، فرُموا بالسهام من قبل الجند فرجعت سهامهم عليهم وما سقط سهم منها إلا في صاحبه فقتله، فاستوحش الديزج وأصيب بالحمى والقشعريرة ومات في يومه الذي حكى فيه قصته لارحمه الله. (١)

وأما الصورة الخامسة من صور الإعتداء على القبر الشريف فقد ذكرها المؤرخ الشهير أبو الفرج الإصفهاني في مقاتل الطالبيين، وقد ارتأينا ذكرها هنا حرفيا حيث تُبين الكيفية التي تم عبرها معرفة القبر الشريف من بعد كربه، وهي ذاتها الصورة التي أشرت إليها في خطابي المثير للجدل. فيقول أبو الفرج:

---

(٥) أمالي الطوسي ص ٣٢٦ . و أيضا ص ٣٢٩ . (مصدر سابق)

(٦) علي بن الحسين المسعودي / تاريخ المسعودي ٥٢/٤ . ولعل هذا الخبر اعتُمد فيه مزاعم الديزج أنه حفر وما وجد شيئا كما تقدم في الصورة الثانية .

(١) أمالي الطوسي ص ٣٢٧ (مصدر سابق) . ويتضح من مجمل الأخبار أن المتوكل قد كانت له محاولات كثيرة بين سنة ٢٣٦ و٢٤٧ لمنع الزائرين وتخريب القبر ، وفي بعض هذه المحاولات كانت الشيعة تقف في وجه الجند وتمنعهم .

فحدثني محمد بن الحسين الأشناني قال: بَعُدَ عهدي بالزيارة في تلك الأيام خوفاً، ثم عملتُ على المخاطرة بنفسي فيها وساعدني رجل من العطارين على ذلك، فخرجنا زائرين نكمن النهار ونسير الليل حتى أتينا نواحي الغاضرية، وخرجنا منها نصف الليل، فسرنا بين مسلحتين وقد ناموا حتى أتينا القبر فخفي علينا، فجعلنا نشمه ونتحرى جهته حتى أتيناه، و قد قلع الصندوق الذي كان حواليه و أحرق، و أجري الماء عليه فانخسف موضع اللبن وصار كالخندق، فزرناه و أكببنا عليه فشممنا منه رائحة ما شممت مثلها قط كشيء من الطيب، فقلت للعطار الذي كان معي: أي رائحة هذه؟ فقال: لا والله ما شممت مثلها كشيء من العطر.

فودعناه وجعلنا حول القبر علامات في عدة مواضع. فلما قتل المتوكل اجتمعنا مع جماعة من الطالبيين والشيعة حتى صرنا إلى القبر فأخرجنا تلك العلامات و أعدناه إلى ما كان عليه. (٢)

إذاً، من خلال هذه الجولة السريعة في حنايا تاريخ الطف، يتبين لنا جلياً كيف أن موضع القبر نفسه عُمي أثره بصورة أو بأخرى، وبفضل الله تعالى ورعايته وجهد بعض الزائرين ممن وضعوا له علامات متفرقة تم تحديد موضعه، وذلك بعد هلاك المتوكل، وقد علمت عزيزي

(٢) أبو الفرج الإصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٨٧ .

القارئ أن بين الكرب الأخير لقبر سيد الشهداء على يد المتوكل وبين هلاك المتوكل لعنه الله تعالى أيام قليلة لربما لا تتعدى الثلاثة بالكثير كما يتضح من بعض المرويات.

وبعد هذه المقدمة الموجزة والمفيدة، التي تبين لنا الكيفية التي كانت تمحى بها معالم كربلاء بما فيها قبر الحسين صلوات الله تعالى عليه والبيوت المحيطة به في تلك البقة المباركة وكيف كانت تجرف بالمياه وتحرث وتبذر، نعود للنظر في حقيقة هذه المقامات محل البحث في محاولة للإجابة على الإستفاهمات الثلاثة المتقدمة (متى وكيف ولماذا؟)

(المخيم)

من أهم معالم كربلاء معلم المخيم، الذي يعرف أيضا باسم (خيمگاه)، وهو عبارة عن مبنى يعتقد العامة أنه بني في نفس الموضع الذي ضربت فيه خيام الحسين ع، ويزار على هذا المعتقد، وفي داخله بعض الإشارات والعلامات التي ترشد إلى بعض المواضع التي جرت فيها بعض أحداث الطف كالبئر و مخدع القاسم وغيرها. وبالرجوع لكتب المقاتل نجد أن عدد البيوت التي ضربت في معسكر الحسين يصل إلى ١٣٦ بيتا، منها ٧٠ بيتا للحسين وأهل بيته كما ذكر ذلك الشيخ فضل القزويني في كتابه (الحسين وأصحابه)، وهذا يعني أن المساحة التي استوعبها مخيم الحسين من أرض كربلاء تفوق بكثير المساحة المبنية اليوم، وبتصور لحال الخيام مع أطنابها ومساحة كل خيمة والمسافة المفترضة بين كل خيمة وأخرى، يتبين لنا أن المخيم هو أكبر معلم مقدس (من حيث الحجم) ارتبط بحركة أهل البيت يوم العاشوراء، ومع ذلك فإن المؤرخين يؤكدون أن الموقع المشار إليه اليوم بالمخيم لايمت إلى الحقيقة بصلة إطلاقا، وأن المكان الدقي

للمخيم الحسيني غير معروف أصلا.[1] وأن هذا الموضع المذكور ما هو إلا مجرد رمز للمخيم الحسيني لا أكثر ولا أقل، وهو مشروع بذر نواته الزعيم البكاتشي عبد المؤمن الدده حين شيد مقاما تذكارياً لمضجع الإمام علي بن الحسين ع في أواخر القرن العاشر الهجري في محلة تعرف عند أهل كربلاء بـ (محلة آل عيسى) قبل أن يتبدل اسمها إلى (محلة المخيم).

قال محمد حسن مصطفى الكليدار في كتابه القيم (مدينة الحسين)

الشائع على ألسنة البعض من الثقات أن عبد المؤمن الددة تولى بناء غرفة في هذا المكان لتكون رمزاً لمخيم الإمام الحسين ع عندما استوطن كربلاء في القرن العاشر الهجري، وغرس بجنبه نخيلات لتكون صومعة له.. ولم تزل البستان الواقعة بجنب المخيم تعرف ببستان الددة.[1]

وقال في موضع آخر من كتابه بعد حديثه عن تلول كربلاء:

فلذا لا نجد في كتب أهل السير ومعاجمهم من الخاصة والعامة ومن الذين كرسوا معظم حياتهم في التدوين والتأليف لحادثة الإمام الحسين ع في كربلاء إسماً لموقع مخيم الحسين ع، وبذلك يذهب فريق من المؤرخين إلى أن موقع المخيم الحالي لايمت إلى الحقيقة التأريخية بصلة، وإنما كل ما في الأمر أن الزعيم البكاتشي عبد

(١) يروي فضيلة السيد محمد تقي الطباطبائي عن المرحوم العلامة والبحاثة الكبير السيد حسن الصدر : أن مخيم الحسين كان قريباً من المستشفى الحسيني في كربلاء . ويغلب على الظن أن هذا الموقع أقرب إلى الصواب . (محمد حسن مصطفى الكليدار آل طعمة / مدينة الحسين ، مختصر تاريخ كربلاء ٢/٥٠ .

(١) محمد حسن مصطفى الكليدار آل طعمة / مدينة الحسين ـ مختصر تاريخ كربلاء ١/٣١ . والكتاب أعيد طباعته سنة ١٤٣٧ هـ ـ ٢٠١٦ م برعاية الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة (مركز كربلاء للدراسات والبحوث / شعبة التأليف والترجمة)

المؤمن الدده قام بتشييد مقام تذكاري خالد لمضجع الإمام زين العابدين بن الحسين ع في أواخر القرن العاشر الهجري، وبنى بجانبه غرفة ثانية اتخذها صومعة له، وغرس بجنبها نخيلات كما هو اليوم.

وتعرف البستان المحيطة بالمخيم الحالي من أطرافه الثلاثة بستان الدده، والآراء مضطربة حتى اليوم في أي الغرفتين اتخذها رمزاً تذكارياً لمضجع الإمام، وهل هي التي داخل المخيم المعروفة بمقام زين العابدين أو التي خارج المخيم في الجهة الغربية منه والمعروفة بحجلة القاسم. وعلى كل حال بأن للشواهد دلالة صريحة بأن الزعيم البكتشاني سلك في تعيينه موضع المخيم الحالي طريقة الإجتهاد،

ومصدرها وحي العقيدة دون رواية تاريخية.[1]

أول ظهور لإسم المخيم

لقد تحول الموضع الذي يضم مقام رمزي لمضجع زين العابدين ع إلى مقام باسم المخيم، وفي ذلك يقول السيد محمد حسن مصطفى الكليدار بعد سطور من حديثه المتقدم:

ونذكر بهذه المناسبة الأسباب التي دعت إلى تبديل إسم الطرف من محلة آل عيسى إلى طرف المخيم؛ فقد قال العلامة السيد هبة السيد الحسيني أنه سمع من أسلافه المتقدمين: أن نادر شاه عندما زار كربلاء في عام (١١٥٤ هجري) كان قد خيم بمعسكره في أطراف هذا الموضع ـ أي في طريق الحلة كربلاء ـ فسمي هذا المحل

(١) مدينة الحسين ، مختصر تاريخ كربلاء ٥٠/٢ (مصدر سابق)

فيما بعد (خيمگاه نادري) بكاف معجمة، ثم حذفت كلمة نادري وبقيت كلمة خيمگاه، ثم عربت بكلمة المخيم في عام (١٢٤١ هـ) على أثر نشوب ثورة (المناخور)، ثم سارت عليه نفوس الشيعة المحبين لأهل البيت (عليهم السَّلام) من المقتفين لآثارهم الدينية، وأصبحوا يتبركون بكل ما يتعين لأهل البيت فيحتفلون بها ويبجلونها ويأخذها الخلف عن السلف. [٢]

وقد أرخ العلامة الكبير والمؤرخ والشاعر الشهير الشيخ محمد طاهر السماوي زيارة الملك نادر شاه [٣] في أرجوزته التي تناول فيها تاريخ كربلاء، وأشار إلى تعميره للمشاهد وصرفه على العتبات من غنائم الهند التي استحصلها، غير أنه أرخ الزيارة بسنة (١١٥٥هـ)

وإليك ماذكره في أرجوزته بهذا الخصوص:

ثم أتى النادرُ واستضافا طرائفاً من غُنمه لطافا

وزان هاتيك المباني المُنشأة في الخمس والخمسين من بعد المئة [١]

ونلاحظ من خلال النصوص المتقدمة متناً وحاشية أن الملك نادر شاه قد زار كربلاء في السنوات الثلاث المتتالية (من ١١٥٤هـ إلى ١١٥٦ هـ)، إلا أن السماوي في أرجوزته لم يذكر غير زيارة واحدة كما ترى في البيتين المتقدمين، غير أن شارح الأرجوزة (علاء الزبيدي)

---

(٢) مدينة الحسين ٥١/٢ . (مصدر سابق) .

(٣) السلطان نادر شاه الأفشاري أول ملوك السلسلة الأفشارية في إيران ، وذلك بعد انتهاء الحكم الصفوي ، تولى الملك من سنة (١١٤٨ هـ إلى ١١٥٩ هـ) . وقد زار كربلاء مرة أخرى سنة (١١٥٦هـ / ١٧٤٣م) لأيام بقيت من شوال يوم السبت بعد منصرفه من زيارة النجف الأشرف ، وأقام فيها خمسة أيام مع وزرائه وعساكره ، ومعه نديمه مرزا زكي وقد أولى مرقد الإمام الحسين # والمراقد الأخرى في المدينة عنايته ، وساهم في تحسين المدينة . (مجالي اللطف ص ٣٠٨ و ٢١٣ بتصرف)

(١) الشيخ محمد طاهر السماوي / مجالي اللطف / شرح علاء الزبيدي ص ٣٠٨ .

صرح بأن الملك نادر شاه قد زار كربلاء مرتين، الأولى في سنة (١١٥٥هـ) والثانية سنة (١١٥٦هـ)، ولعل ثمة اشتباه حدث عند بعض المؤرخين في تحديد أول سنة زار فيها الملك المذكور لكربلاء، بين سنة (١١٥٤هـ) و (١١٥٥هـ)، وكيف ما كان فهذا الموضوع غريب عن بحثنا وأهدافه فلا نطيل فيه.

وعلى أي حال، فإن الوثائق تشير إلى أن إسم (المخيم) ما ظهر إلا بعد زيارة نادر شاه وتخييمه في الموقع المذكور في منتصف القرن الثاني عشر، ثم أطلق هذا الإسم بعد ذلك على عموم المنطقة التي يقع فيها هذا المخيم بعد أكثر من قرن من زيارة نادر شاه.

يقول السيد محمد حسن آل طعمة:

إن الشواهد التاريخية تؤيد أن المخيم الحالي قد شيد مؤخرا، الأمر الذي يوجب الحيطة في أمره، إذ أن المستندات القديمة الموجودة عند بعض السادة في كربلاء تشير إلى أن هذه البقعة كانت تسمى بمحلة آل عيسى حتى أواخر عام (١٢٦٧هـ)[٢]، أما بعد هذا التأريخ فقد عرفت بمحلة المخيم أو مقبرة المخيم.[٣]

(٢) ذكر التاريخ في كتاب تراث كربلاء هكذا (١٢٧٦ هـ) ، ولاشك أن إحدى النسختين وقع فيها خطأ من النساخ .

(٣) مدينة الحسين ٥١/٢ /مصدر سابق . ويؤيده ما ذكره السيد سلمان آل طعمه في كتابه تراث كربلاء ، حيث قال : (وتنص الوثائق والمستندات التأريخية القديمة التي اطلعنا عليها لدى سادات كربلاء ، أن محلة المخيم والقسم الشرقي من محلة باب الطاق كانت تُعرف بـ (محلة السادة آل عيسى) حتى أواخر (١٢٧٦ هـ) وقد تغيرهذا الإسم إلى محلة المخيم بعد هذا التأريخ . (تراث كربلاء ١١٣)

ومازلت أتذكر زياراتنا لكربلاء في صحبة الوالد رحمه الله أيام الطفولة حيث كان أهالي كربلاء المقدسة يتعاطون عبارة (خيمكَاه) باللهجة العراقية لا الفارسية فيقولون (خيمكَه) وهذه التسمية شائعة في الشعر الشعبي العراقي في فترة الفتلاوي والملا زاير رحمهما الله تعالى ومن عاصرهما من الشعراء.

وكيف ما كان، فمن خلال ما تقدم يبدو جليا أن ثمة أحداث متراكمة حدثت في هذه البقعة فحولتها بالتدرج إلى ما آلت إليه الآن، فتوهم الناس أنه الموضع الذي خيم فيه الحسين ع حقيقةً وتعاملوا معه وفق هذا الوهم، وهذه الأحداث على التوالي:

أولا: المقام الذي أنشأه عبد المؤمن الدده لزين العابدين.

ثانيا: زيارة نادر شاه إلى كربلاء وتخييمه في نفس الموقع، ما جعل الناس يطلقون على الموقع إسم (خيمكَاه نادري) قبل أن تحذف كلمة نادري وتبقى كلمة خيمكَاه.

ثالثا: وجود بركة كبيرة في نفس الموضع، ولا نعرف عمر هذه البركة، ولكنها كانت موجودة في القرن الحادي عشر، وقد أشار إلى وجودها الرحالة البرتغالي تكسيرا الذي زار كربلاء في عام ١٦٠٤م. [1] ولعل وجود هذه البركة ـ مع البستان المنسوب لعبد المؤمن الدده ـ هو ما أغرى نادر شاه للتخييم في هذا الموضع، في زمن يكون جلب الماء فيه يتطلب جهدا كبيرا.

وفي المحصلة النهائية وجد الناس مقاما لزين العابدين في محلة تعرف بخيمكَاه أو المخيم ووجدوا فيها عين ماء اعتبرها عامة الناس بعد ذلك العين التي احتفرها الحسين ع في كربلاء

(١) جعفر الخليلي / موسوعة العتبات المقدسة / ٨ قسم كربلاء ص ٢٨٨ .

طلباً للماء، فصاروا يتبركون بها تحت هذا الزعم ثم أقاموا مخدعا خاصا بالقاسم أيضا. ولعل اتخاذ السيد علي صاحب الرياض المحلة ذاتها مقبرة للموتى بعد هجوم الوهابية على كربلاء كان له دور آخر في تعظيم هذا الموقع.

وغاية ما نريد إثباته هنا ـ بعيدا عن ثرثرة المثرثرين والجهلة والمروجين لكل خرافة تحت عنوان حفظ الشعائر أو غيرها من العناوين العامة والفضفاضة التي اتخذها البعض ذريعة لتجهيل العامة وشتم من خالفهم ـ أن البحوث التأريخية ذات العمق والهدف تشير إلى أن المزار المعروف اليوم بالمخيم إنما شُيد دقياً قبل ٢٨٦ سنة من يومنا هذا.[٢] وأن موضع المخيم الحقيقي غيرمعروف أبداً، سوى ثمة تكهنات أن يكون موضعه قرب المستشفى الحسيني كما تقدم في حاشية ١ من صفحة ١٩.

وفي هذا الصدد أيضا يطالعنا رأي السيد سلمان هادي آل طعمة في كتابه (تراث كربلاء) حيث قال:

يؤخذ من أقوال المؤرخين أن المخيم الحالي الذي نتحدث عنه لا يمت إلى الحقيقة بصلة ولا يستند إلى دليل أو برهان، ولذا لم نجد أثراً يُذكر لموقع مخيم الحسين في كتب أرباب السير والتواريخ... والمرجح عندنا أن المخيم الحالي من الأبنية التي ابتدعها مدحت باشا من أجل ضيافة السلطان ناصر الدين شاه

(٢) وقد ذكر الرحالة الفارسي ميرزا أبو طالب خان في رحلته المسماة مسير طالبي عند زيارته كربلاء عام (١٢١٧ هـ) : إن آصف الدولة قد تبرع بمال يرمم فيه مقام الإمام زين العابدين ، إلا أنه لم تكتمل هذه الترميمات في حينه ، فلهذا يُقرأ التأريخ الذي انتهى فيه المخيم الحالي بعام (١٢٧٠ هـ) ، كما أن هذا التاريخ مثبت على جوانب جدران المخيم الحالي. (مدينة الحسين ص ٥١ / مصدر سابق)

وعساكره وحاشيته، كما يؤكد بعض الثقاة أن عبد المؤمن الدده تولى بناء غرفة في هذا المكان.. الخ [1]

وأما فيما يتعلق بالمبنى الحالي الذي جدد بعد سقوط حزب البعث، فإن التحقيقات والتحريات الدقيقة تشير إلى أنه قد شيد في أوائل القرن الثالث عشر الهجري عندما بنى السيد علي الطباطائي المشهور بصاحب الرياض سوراً لكربلاء في عام (١٢١٧ هـ) بعد غارة الوهابيين، واتخذ هذا المحل مقبرة لدفن الموتى واستبدل إسم الطرف بمحلة المخيم. [2]

وعليه وبلحاظ كون المخيم أكبر معلم مقدس حجماً ارتبط بتاريخ كربلاء وحركة الطالبيين في يوم عاشوراء، وجرت فيه وحوله كثير من الأحداث المهمة ولايزال المؤرخون والباحثون يجهلون موضعه على نحو الجزم والدقة، فهل يبقى بعد ذلك شك أن بقية المزارات ـ التي هي دونه في الحجم والأهمية، والتي يتطلب معرفة مواضعها جهدا أكبر لصغر مساحتها أولا، ولكونها مقامات أقيمت على غير عين ولا أثر ثانيا ـ لا تعدو أن تكون حوانيتا تستنزف أموال الزوار وأوقاتهم من جانب، وتعبث في ثقافاتهم وتساهم في تجهيلهم من جانب آخر؟

وقد يقول قائل: هب أنه قد ثبت تأريخيا أن المخيم لم يكن في موقعه الصحيح، فهل مقتضى ذلك التشكيك في بقية المزارات محل البحث؟

---

(١) سلمان هادي آل طعمة / تراث كربلاء ص ١١١ و ١١٢ .

(٢) مدينة الحسين ٣١/١ / حاشية . (مصدر سابق)

وفي شهر حسين ٣٩٦ : إن قائد الجيش محمد حسن خان طلب من السيد علي الطباطبائي صاحب الرياض أن يبني للمدينة سورا محكما على نفقته ، فطلب من المهندسين البلوش (البلوج) ذلك فأقام سور كربلاء ، ولعل الجهود تضافرت لإعمار المدينة والمرقدين بعد الغزو الوهابي . (الكرباسي / تاريخ المراقد / ١٢١/٢) .

وجاء في موسوعة العتبات، قسم كربلاء : أن الوهابيين هجموا على كربلاء في سنة ١٢١٦ ، وأن علي باشا بناءاً على أمر الوزير بنى سوراً لكربلاء منيعا ، واتخذ للحلة خندقاً صعب الإجتياز . (المصدر ١٢٤)

والجواب:

نعم، إذا ثبت أن المخيم ليس هو المخيم، وإذا ثبت أن المؤرخين يجهلون موضعه مع أهميته وحجمه وارتباطه بأحداث كثيرة مهمة تفوق بمكانتها مكانة الموقع الذي التقى فيه الحسين بعمر بن سعد أو المكان الذي التقت فيه فضة بالأسد وغيرها من المقامات الأخرى، كونه محلاً لإقامة الحسين، ومحلا خطب فيه الحسين في أصحابه وكشف لهم فيه الغطاء وأراهم منازلهم في الجنة، ومحلا جمع فيه الحسين الشهداء الذين سقطوا في المعركة، إلى غير ذلك من الأحداث المهمة، فمن الأولى بهم إذاً أن يجهلوا المقامات الأخرى التي بُنيت على غير عين ولا أثر، وإنما اعتمادا على دعاوى مجرده ومستحدثة تزعم أنها مسرح لهذه الأحداث..

ومع ذلك فهذه الملازمة ليست دليلنا الوحيد على بطلان بقية هذه المزارات وإن كانت دليلا ناهضا عند العقلاء، وإنما دليلنا كلام المؤرخين أنفسهم حول بقية المقامات، وخلو كتب التأريخ المتقدمة التي سلطت الضوء على تاريخ كربلاء من أي ذكر لها قبل الفترة المشار إليها مع بالغ اهتمام ورعاية المؤرخين والباحثين لمثل هذه الآثار فيما لو وجدت.

وإذا ما قبلتم بكلامنا المتقدم مما ذكره الباحثون في شأن المخيم بأنه مجرد مقام تذكاري لزين العابدين وضعه عبد المؤمن الدده في القرن العاشر، فيلزمكم أيضا أن تقبلوا بزيف بقية المزارات لاشتراك العلة وهي كلام المؤرخين أنفسهم، وهو ما سنأتي عليه إن شاء الله تعالى في السطور التالية..

ملاحظة مهمة

وقبل أن أختم حديثي في خصوص المخيم لايفوتني أن أشير إلى أن المخيم بوضعه الحالي وبلحاظ كونه مبنى واقع ضمن إشراف ورعاية المرجعية العليا الحكيمة، وكونه قد اتخذ من قبل المؤمنين محلا للصلاة والعبادة، وبلحاظ أن ريعه يعود للحضرة الحسينية وينتفع منه الزائرون أنفسهم بشكل أو بآخر، فإن الصلاة فيه وتعظيمه من تعظيم الحضرتين الحسينية والعباسية، ونحن لا نشك أبدا بأن الصلاة فيه أو في أي بقعة من أرض كربلاء أمر راجح ومحبب شرعا، لأن كربلاء القديمة كلها حرم، وقد ورد في الخبر عن أبي عبد الله الصادق ع أنه قال: **(حريم قبر الحسين فرسخ في فرسخ في فرسخ في فرسخ)** [1] وعنه ع في حديث آخر قال: **(حريم قبر الحسين ع خمس فراسخ من أربعة جوانب القبر)** [2]. ويجب التنبه والتفريق بين حديثنا حول ارتباط الآثار بالعناوين التي وضعت على أساسها، وبين قداسة الأرض بشكل عام.

وفيما يلي نشرع بذكر بعض المقامات المستحدثة التي لم يكن لها عين ولا أثر قبل القرن العاشر.

(١) جعفر بن محمد بن قولويه/كامل الزيارة ص ٢٨٢ .
(٢) محمد بن الحسن الطوسي/مصباح المتهجد ص ٧٣١ .

(مقام اجتماع الحسين مع ابن سعد)

هذا المقام يعتبر من أغرب المقامات في تاريخ الشيعة، فما معنى أن يتخذ المكان الذي التقى فيه الحسين بعمر بن سعد ـ إن صح التشخيص أصلا ـ مقاما يُزار؟ فإن كان هذا المقام قد وضع لتعريف الناس فقط ببعض تفاصيل هذه الواقعة الأليمة فلا بأس بذلك كفكرة، غير أن العامة لا تعرف حداً في التعامل مع هذه المواقع عندما تشاهد موضعا أثريا أقيم باسم الحسين أو باسم أحد الأئمة (عليهم السَّلام) حتى يتخذوه محلا للدعاء أو التبرك والنذور وما إلى ذلك.

وبعيدا عن كل ذلك مما قد يخالفني البعض فيه، فإن تحديد المكان الذي التقى فيه الحسين بعدو الله عمر بن سعد أشبه بالأمر المستحيل بالنظر إلى ما تقدم من الأحداث السالفة الذكر التي تناولت كرب القبر الشريف وما حوله، وكذلك من عجز الناس أن يتوصلوا إلى معرفة موقع المخيم وهو أكبر معلم مقدس قد ارتبط بحركة الطالبيين في يوم عاشوراء. وإذا كان موضع القبر نفسه كاد أن يُمحى في زمن الرشيد ثم في زمن المتوكل بعد ذلك لولا وجود عين وأثر للقبر تحت الأرض، فكيف بما لا عين له ولا أثر؟

وأما احتمالية أن يكون أحد الأئمة قد دلَّ الشيعة على ذلك فهذا القول لا يستقيم البتة، وذلك من وجوه عدة، منها: أن ثمة مواضع كثيرة في كربلاء ارتبطت بأحداث عاشوراء هي في حقيقتها ومعانيها أهم بكثير من الموضع الذي وقف فيه الحسين مع عمر بن سعد، كالموضع الذي يقف فيه الحسين حين يودع أصحابه مثلا، أو الموضع الذي سقط فيه حبيب ووقف الحسين عليه مؤبنا، أو الموضع الذي انحنى فيه الحسين ووضع خده على خد غلامه التركي، أو الموضع

الذي أصيب فيه الحسين بالسهم المثلث، وكذلك تعريف الناس بموضع المخيم أو المحل الذي جمعت فيها أجساد الشهداء، أو تحديد مكان قبورهم بشكل دقيق ـ حيث لازال مجهولا ـ، فكل تلك الأماكن والمواضع أولى بالتعريف من المكان الذي التقى فيه الحسين ع بعمر بن نحس قاتله الله.

ومنها: أن هذا الإحتمال لايعدوا أن يكون ظناً بلا دليل ولا مرجح ولا حتى قرينة، والأصل فيه العدم، فإذاً لا قيمة لمثل هذا الظن البتة، سيما إذا ما دلت الدلائل أو القرائن على خلافه بشدة، وإذا ما قدسنا هذه الرموز اعتماداً على مثل هذا الظن فيلزمنا تقديس كل مقام اتخذه العوام حتى وإن كان صخرة أو شجرة بدعوى احتمالية إرشاد المعصوم أو الخضر أو أحد الأولياء إليه، وهكذا نفتح الباب على مصراعية لاتخاذ مزارات ما أنزل الله بها من سلطان.

ومنها: أن مثل هذا السلوك مخالف لمنهج الأئمة صلوات الله عليهم في تحديد الأماكن التي ينبغي أن تعظم أو تقدس، وقد أظهرت مجموعة من الروايات كيف أنهم لا يعظمون إلا الأماكن التي تقترن بحصول آية أو معجزة تظهر الحق على الباطل، أو مواضع تسيل فيها دماء زكية في سبيل الله تعالى.

وبعيدا عن كل ذلك، فقد ذكر صاحب كتاب تراث كربلاء بأن هذا المقام مستحدث وليس قديما بقدم الأحداث، وإنما شُيد في مطلع القرن الرابع عشر، حيث قال:

والمقام عبارة عن شبه حانوت خارج من جدار الدار المرقمة ٧٥/٣٢٢، ويرجع تاريخ تشييده إلى سنة ١١١٣هـ، وتم تجديده سنة ١٣٥٢هـ / ١٩٣٤، ثم جدد عام ١٣٧٨ هـ/١٩٥٢. [١]

(١) تراث كربلاء ص ١٢٩ .(مصدر سابق) .

(مقام الكف الأيمن للعباس بن علي)

قال السيد سلمان هادي آل طعمة:

والمعروف أن هذا المقام شيد في أواسط القرن الثالث عشر الهجري على بقايا نهر كان يُعرف في حينه بنهر مقبرة العباس، وقد يكون من بقايا نهر العلقمي.[1]

وجدير بالذكر أن نهر العلقمي نفسه لم يكن موجوداً في سنة واحد وستين، وإنما هو نهر بناه جد الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي بأمر السلطان غازان بن أرغون بن أباقا (أو أبغا) بن هولاكو. قال ابن الطقطقى في ترجمة الوزير ابن العلقمي:

(هو أسدي، أصلهم من النيل، وقيل لجده ابن العلقمي لأنه حفر النهر المسمى بالعلقمي، وهو الذي برز الأمر الشريف السلطاني بحفره وسمي القازاني) [2]

(مقام الكف الأيسر للعباس بن علي)

قال السيد سلمان هادي آل طعمة:

ويحكى أن هذا المقام شُيد من قبل محمد علي آل شنطوط في عام ١٣٢٧هـ، وذلك أثر رؤيا رآها في منامه، وهي أن الساعد الأيسر

---

(١) تراث كربلاء ص ١٣٠ . (مصدر سابق)

(٢) ابن الطقطقى /الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ص ٣٣٧ ، وراجع موسوعة العتبات المقدسة . قسم كربلاء ٣٢/٨ . وقد ذكر في ذلك أقوالا أخرى فراجع .

للعباس قطع في هذا المكان، مما دعاه إلى شق جدار داره في الصباح الباكر وأنشأ هذا المقام تخليداً لموقع سقوط الساعد.[٣]

(٣) تراث كربلاء ص ١٣٠ . (مصدر سابق)

(مقام جعفر الصادق ع)

قال السيد سلمان هادي آل طعمة:

وقد شيد هذا المقام رمزاً تذكارياً من قبل الزعيم البكتاشي جهان دده (كلامي) الشاعر الصوفي الذي كان حياً سنة ٩٧٠ هـ، ويعرف المكان بشريعة الإمام جعفر بن محمد، وهو المكان الذي يغتسل فيه الإمام جعفر الصادق ع في نهر الفرات قبيل زيارته للحائر، وموقعه في أراضي الجعفريات على الشاطئ الغربي من نهر العلقمي.[١]

وحول بقية المقامات فقد أشار إليها السيد سلمان هادي آل طعمة بقوله:

وهناك مقامات أخرى في مواضع مختلفة من أزقة المدينة شيدت تبركاً لاستلهام ذكرى الأئمة الأطهار بوحي من العقيدة[٢].

(١) تراث كربلاء ص ١٣١ . (مصدر سابق)
(٢) تراث كربلاء ص ١٣١ . (مصدر سابق)

الفصل الثالث

المداخلات بين الإيجاب والسلب

لقد تباينت ردود الأفعال بعد خطابي المشار إليه بين التعقل والتعصب وبين الإيجاب والسلب، وقد وصلني كم هائل جداً من الرسائل، إما بطريق مباشر أو غير مباشر، وسواء كانت هذه الرسائل تقف معي أو ضدي فإن قدرا كبيرا منها أحترمها وأقدر أصحابها، لأنها جاءت على نحو متعقل جدا بعيدا عن العصبية و الطيش والهوى والعواطف.

وأول رسالة وصلتني بشكل مباشر وودي كانت من الأخ العزيز والأستاذ القدير العلامة الشيخ علي الكوراني حفظه الله ونفعنا بعلمه، وكان ذلك عبر رسالة صوتية، وكانت كالتالي:

بسم الله الرحمن الرحيم، أخي العزيز الحبيب الفاضل الشيخ عبد المحسن الجمري، الله يعزك ويرعاك.. سمعت لك هذا الكلام حول قبر الامام الحسين سلام الله عليه والبئر الذي في المخيم والآثار؛ الله يحفظك ويرعاك شيخنا، عندي ملاحضتين.

الملا حظة الأولى: هذه الحساسية من الآثار التي هي رموز وهي آثار وضعها الشيعة تذكرني بالبئر الذي حفره الحسين قبل العاشر والله عفاه وأراد الله؛ ثم تقول إن قبر الحسين ما كان معروفاً في كربلا والشيعة بحثوا عنه ووضعوا علامات؛ أين المعصومون؟ هل تفترضهم غائبين؟

ثم عبَّر الشيخ الكوراني عن أهمية الغيرة على الحسين والشعائر الحسينية وعقب:

أن لايضيق صدرك عن هذه الرموز التي يصنعها الشيعة، إنها مقدسة، إنها مجرد رموز، حتى إن كانت خطأ تأريخيا لايصح أن نطلق عليها دكاكين. غفر الله لك وشكراً لكم ونسألكم الدعاء.

ومن محصلة كلام الشيخ الكوراني دون التدقيق في كل مفردة نلاحظ أنه قد اتفق واختلف معي في آن، فهو حفظه الله يتفق معي في مجمل حال هذه المزارات وعدم ثبوتها، ويختلف معي من جانب آخر في عبارة الدكاكين، ويرى أنه لايصح أن نطلق عليها هذا اللفظ.

ردي على الأستاذ الكوراني

قد استمعت إلى الرسالة الصوتية الراقية التي بعث بها العلامة الشيخ علي الكوراني أطال الله عمره الشريف وزاده علما، وأجبته كتابة بالتالي:

إلى العلامة المحقق الأستاذ الشيخ علي الكوراني

مع احترامي لتفكيركم الوقاد وقلمكم المغيث أستاذنا الكبير إن رسالتكم محل التقدير والإحترام وجميع من تداخلوا في ذلك وأخص سماحتكم في الأولويات، غير أن ذلك ليس من انطباعاتي

الشخصية والأمر غير قابل للاجتهادات بقدر ماهو قابل للقراءة التأريخية المعمقة، فإذا ثبت تأريخيا أن المعصوم أقر قبر الحسين ع الذي حدده الشيعة وسط متابعات خطيرة وعلامات مخفية، فهذا يجذّر التحفظات على باقي المعالم، إذ أن الشيعة لم يعتنوا بها اطلاقا حتى قبل حرث القبر الشريف، والمعصوم لم يشر إلى ما سوى القبرين المقدسين وخصوصا الحائر المتعلقة أحكامه بالفقه الجعفري .

أقول لأستاذي الشيخ علي الكوراني كما قال السيد الإمام الخميني لتلميذه آية الله قديري في إثارة مسألة الشطرنج: **(إنني لست أول من قال بهذا، وقد سبقني إلى ذلك الخونساري).** وأنا أقول: لست أول من أثار ذلك، ولكن سبقني الكثيرون في ذلك، ولن أكون آخر من يثير هذه الأمور أيضا.

وأنا لا اختلف في رمزيتها حيث افتراض الموقع، وهذا ما قرره حجة الاسلام آية الله الشيخ فرج العمران في الأزهار الأرجية. وأما ما ذكره لي بعض الإخوة الأعزاء من مصادر أمثال الرحالة كارستون نيبور في مروره بكربلاء عام ١٧٥٦م والرحالة أبو طالب خان حيث زار كربلاء في عام ١٢١٧ هجري وغيرها فإنها لم تأت بجديد، فالذي رآه الرحالة من علامات على مواقع بعينها رأيته أنا كذلك، فهي علامات لم أتحرّج من وجودها ولم أدع لإزالتها ولا أستشكل في ارتيادها ثبتت أو لم تثبت، ولكن مع ثبوتها لا يوجد ما يجعل الثواب في ارتيادها أو الإستحباب فيها أمراً خاصا (أقول مع ثبوتها)، وإنما حالها حال أي وسيلة تذكير وإعانة على الإستعبار كعنوان موضوعي خاص.

ذلك وإنني أقصى أمنيتي أن أكون في مثل ذلك مغلوباً ولا أتمنى أن أكون غالباً، وكم أتمنى أن يأتيني من العلم ما يجعلني خاطئ فيما تحدثت، وهل يكره شيعي أن يعرف أين جلس الحسين أو أين وقف؟ لعمري إنها أمنية كل محب وشعار كل مؤمن، ولكن ما أجمل الشعار وهو ثابت على قواعد الأصول ومعادلات المنطق وأساسيات البحث العلمي.

وما يوجب الدهشة هو واقعنا الفكري المتقاطع تماما مع واقعنا الذوقي وعموميات السلوك الشعائري مما يفرز بين آونة وأخرى هذه الخواطر المثيرة وهي كامنة عند الكثير بأعمق من هذه التحفظات مما لا أرغب في إثارتها ولا أرى زمانها ولا جدواها، بخلاف هذه الإثارات الطفيفة التي تحكم المعادلة بين الإستغراق المطلق والإنكار غير المقنن.

والسلام على أستاذنا وأسوتنا أسد الثغر المحامي عن هذه الناحية والشفاعة أمامك. ودمت ناصحاً ومدافعاً.

خادمكم: عبد المحسن ملاعطية الجمري

الرابع عشر من محرم الحرام ١٤٤٠

وكذلك مثال آخر من المداخلات التي تنم عن أدب أصحابها، وهو الجواب الذي صدر عن العلامة الشيخ الفاضل عبد العظيم المهتدي حفظه الله وأبقاه، وهو رجل محل تقدير واحترام عندي قديماً وحديثاً، كما أجده مثالاً لرجل الدين النبيه الواعي، وكنت وددت أن أضع مشاركته من هذا الصراع بكاملها وكذلك الكثير من المداخلات المهمة، غير أنني فوجئت بأنني

قد تجاوزت في وريقاتي هذه الثلاثين من الصفحات، ولا أحبذ الإطالة أكثر من ذلك لأن أن يكون بحثي مختصرا مفيدا، سيما أن جوابه حفظه الله لم يكن موجزاً، وأنا أزعم أنني قد أجبت على كلامه في مطاوي هذه الوريقات بشكل أو بآخر فلا أعيد. غير أني أحب أن أشكر سماحته على حسن أدبه وخلقه الرفيع ومحاولته تأويل كلامي على وجه يستحسنه، فإن ذلك خُلق أهل البيت (عليهم السَّلام)، وإن وظيفة المؤمن عندما يسمع عن أخيه كلمة تسوؤه أو يشمئز منها أن يعمل وفق قول أمير المؤمنين ع: (ضع أمرَ أخيكَ على أحسَنِهِ حتى يأتِيكَ ما يغلبُكَ مِنه، ولَا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَخِيكَ سُوءاً وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مُحْتَمَلًا)[1].

وكذلك لا يفوتني أن أشكر سماحة الشيخ عبد الزهراء العويناتي، فقد كانت له مشاركة مميزة جداً، حيث دعم كلامي بالأدلة والمراجع، وكانت مشاركته جريئة ومتميزة جدا.

وأما بعض المشاركات التي كانت تفتقر بشدة إلى اللياقة أو تَقَبُّل الرأي الآخر بكل أريحية وتعقل فيطالعنا مقطع صوتي لأحد الخطباء والسادة المعممين، حيث جاء فيه حرفيا التالي:

اليوم كثير من هؤلاء اللي يجي يحط له كاميرا ويقعد يتمنطق عليك ويجعل المقدسات فرد موضع للتمنطق، أنا قبل يومين أسمع لي واحد قاعد في البحرين ومع الأسف من عائلة معروفة، المقدسات في كربلاء يصفها بالدكاكين ويصف كربلاء بالتمثيلية.

(١) الكافي الشريف ٢ /٣٦٢ (مصدر سابق)

أي تمثيلية هذه؟ أي تمثيلية هذه سيدي الكريم التي تصفها؟ ها؟ أنت إذا ما عندك إلمام بالتاريخ، وما عندك إلمام بالنص، وما عندك إلمام بالروايات، إرجع الى الروايات واقرأ جيداً قبل أن تعتلي المنبر.

ألم تقرأ ما كتبه إبن خثعم الكوفي؟ ألم تقرأ ما كتبه الطبري؟ ألم تقرأ ما كتبه ابن كثير في البداية والنهاية؟ ألم تطلع على ما أورده المفيد في الإرشاد؟ ألم تتطلع على ما أورده الصدوق في الأمالي؟

كيف أنت تسمح لنفسك؟ منو هذا اللي يمثل؟ شنو هالقلة الأدب هاي في محضر الأيمة عليهم السلام؟ إنت منهو حتى تحط راسك برأس النجف الأشرف والحوزة العلمية؟ فيها أساتذة ولدت ومحققين كبار جداً لو كانوا يرون أن في كربلا توجد تمثيلية لبينوا للناس، هؤلاء أناس لا يخونون ضميرهم، لا يخونون أمانتهم.

واقعا إخواني هذي موضه صايره، كل اللي إجا وحط له كاميرا وجلس يتمنطق على شيعة أهل البيت. مقدساتنا مو موضع للتمنطق هذي اللي تصفها أنت بالدكاكين هي مقدسات عدنا.

المسيح.. سووا لحافر حمار عيسى، سووا له مقام يحجون إله، وأنت تستكثر على الحسين ع أن يكون له مزار؟ تستكثر على أبي الفضل أن

يكون لكفه مقام؟ هي مقدسات مَنسمح لأي واحد ..... (كلمة غير واضحة).

قسما برب العباد لنرد الكلمة بعشر كلمات، منابر أكو وفضائيات أكو، اللي عنده حكي زايد خل يحطه ابّطنه ويسكت، أكو فقهاء، أكو مرجعية دينية عليا، أكو نجف أشرف، إحنا ماتايهين، حتى يجي كل من هب ودب اعتلى المنبر وحط له كاميرا وقام يتمنطق على الناس. نحن أحرار في عقيدتنا، إحنا أحرار في عقائدنا، نحن نعتقد بالحسين ع، نحن نعتقد بشعائر الحسين، ثم صرخ (لبيك يا حسين) فضجت الحسينية خلفه بالنداء ذاته.

ثم قال: هذا نداء قلتها وأكررها، فضائيات أكوا خير من الله ترى والكلمة بعشره والله، اللي يقترب للمقدسات.. (ثم انقطع المقطع)

وواضح من خلال هذا الخطاب أنه انفعالي جدا وحماسي جدا وغير متثبت جداً، ويفتقر جداً للياقة العلماء وطلاب العلوم، ولا يتماشى مع سلوك العلماء في ردودهم للشبهات أو مناظراتهم مع مخالفيهم وإن كانوا من اليهود أو المجوس. غير أنني لا ألومه ولا أريد أن أشخصن الموضوع إطلاقا. فقط أريد أن أقول هنا أن كل ما ذكره ماهو إلا مجرد كلام إنشائي لا قيمة له علميا على الإطلاق، وقد ذكر مجموعة من المصادر ليوهم المستمعين أنه يملك الأدلة والنصوص، وكل ذلك ما هو إلا فقاعة جوفاء، والمصادر المذكورة كلها بحوزتي وقد قرأتها، وبلا شك أنا مُلم

بها أكثر من سماحته، وأتمنى من سماحته أن يذكر لنا نصا واحداً من هذه المصادر يؤكد توثيق هذه المقامات موضع البحث. فما أسهل الكلام وما أسهل مداعبة المشاعر..

ولست أشك بعد استدلال السيد المذكور بمثل هذه المصادر أن سماحته لم يقرأها ولا يدري ما تحويه أصلا، والغريب أن بعض هذه المصادر التي ذكرها لا وجود لها إطلاقا، فهو يقول **(ألم تقرأ ما كتبه ابن خثعم الكوفي؟)** بينما لا يوجد مؤرخ إسمه ابن خثعم الكوفي، وواضح أنه يقصد (إبن أعثم الكوفي صاحب الفتوح)، وهو كتاب لم يُذكر فيه حرف واحد عن هذه المقامات التي نحن في صدد الحديث عنها. ثم زعم أنني أصف كربلاء بأنها تمثيلية وهي دعوى يكذبها خطابي المذكور ولربما اشتبه عليه خطابي فليُرجع إليه.

وأما قوله أنني **(أحط راسي براس النجف)** وأن في النجف علماء ومحققين كبار جدا، فها أنذا ذكرت بعض أقوال الفقهاء والعلماء والمحققين التي تؤيد كلامي، وليته ذكر لنا بدوره أقوال هؤلاء العلماء والمحققين الكبار جداً أو دلَّنا عليها لنكون له من الشاكرين.

ثم يقول (تستكثر **على أبي الفضل أن يكون لكفه مقام؟)** وأقول حاشا أن أستكثر على مولاي وابن مولاي أن يكون له مزارا يقصد، وإنما حديثنا هنا خارج عن مثل هذا التنظير، فنحن هنا نبحث عن الحقيقة التي يعاديها الكثير ويروج للنيل منها أو طمسها كثير من الغافلين أو المغفلين، وقد أجبت على هذه الجزئية في الصفحات المتقدمة فلا أعيد.

وعلى أي حال، فخطاب السيد المذكور ما هو إلا مثال حي لبعض الخطباء الذين يبيعون البسطاء الكلام الخطابي الخالي من المحتوى، والذي لا يزيدهم إلا جهلا على جهلهم. وأنا أشكر السيد المذكور على حسن أدبه ولطيف بيانه.

وكيف كان، فقد لاحظ المتابعون أنه بعد تدخل الأخ الشيخ الكوراني والأخ الشيخ المهتدي ثم السيد المذكور كذلك، تجرأ بعض من لا ناقة لهم في هذا ولا جمل، فشجع الجهلُ الجهلَ وتلاقحت أفكار المثرثرين، فحاولوا الدخول لهذا الميدان على وجه لا يختلف كثيرا عن الوجه الذي طالعنا به السيد المذكور، حيث الخطابيات الفارغة التي ما كانت تستحق النظر إليها البتة، وإنما حملني على ذكر خطاب السيد المتقدم كونه قد اشتهر فقط لا أكثر ولا أقل، وليس كل ما اشتهر فهو علم أو تحقيق، فقد يشتهر الجهل، والتخبط، والإفراط، والتفريط.

ولقد بدا لي من بعض مواقع الإخوة الأجلاء متبعين المرجع السيد محمد مهدي الشيرازي رحمه الله وقدس الله نفسه الطيبة بعض الفوائد القيمة جداً تتعلق بسبب التوتر عند البعض والحماس عند البعض الآخر، مع شكري لحسن أدب الكثير منهم ولياقة خطابهم وأدبياتهم. وقد اتضح لي أن المحور الذي تمحور في الفكر عند بعض الإخوة هو التحسس من بعض التيارات ذات الأجندات المشبوهة حول الشعائر الحسينية، ولقد تصوروا أن خطابي متفرع عن هذه الأجندات التي تحاول إلقاء الشبهات على الكثير من أساسيات الشعائر، وإني قبلاً قد صرحت في مجالسي العامة والخاصة ـ بلا مجاملة لهم ـ أن خيارنا فيما لو خيرنا بين المسفهين للشعائر والمتحمسين لها هو فريق المتحمسين وإن اختلفنا معهم في كثير من المفردات الشعائرية

كالكيفية التي يخرج فيها موكب القامة، أو استحداث يوم للرضيع يزاحم بقية طقوس عشرة المحرم ويثقل المؤمنين جهدا فوق جهدهم وعناءا فوق عنائهم، في حين أن الطائفة لم تهمل هذه المفردة من الأساس، وقد أفردوا لها ليلة خاصة، الأمر المفضي إلى العبثية والإستغراق المفرط الذي نخشاه على الدوام؛ ونحن إذ نختلف معهم في ذلك فإنما الخلاف كيفي لا مبدئي.

ولربما سمعني الكثير مستنكرا وممتعظا لبعض الخطط والأساليب الناسفة للشعائر بحجة تهذيب الشعائر أو تطويرها، مما لا أريد التصريح به هاهنا لعدم رغبتي في الصدامات مع تيارات تتبني أجندات خارجية مرتبطة بمشروع ما. ولقد سرني أن بعض الإخوة ممن يشاركون في الموقع المشار إليه يعلمون جيداً أنني لا أصفق لأحد ولا أتبع أجندة تبنها أحزاب أو تكتلات، وأنني لا أرتضي غير البحث العلمي فقط مما ينفع الناس وما أحسَبُ أن فيه رضى للحسين وآل الحسين أرواحنا فداه. كما أنني لا أرى حقيقة القضاء على الملامح الرمزية جملة وتفصيلا كما يتوهم البعض، وإنما أحاول فقط معالجة الخلل في التعاطي والتعامل مع مثل هذه الرموز، بحيث لا تكون وبالا على الشيعة بنحو أو بآخر.

سبحان ربك رب العزَّة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم.

عبد المحسن ملا عطية الجمري

١٥ صفر / ١٤٤٠ هـ

مصادر البحث

١) الشيخ عباس شمس الدين / المراقد المزيفة

٢) الشريف الرضي / نهج البلاغة

٣) الكليني / الكافي الشريف

٤) الشيخ الصدوق / عيون أخبار الرضا

٥) سيد جعفر مرتضى العاملي / زينب ورقية

٦) عز الدين أبو الحسن الموصلي / الكامل في التاريخ

٧) أبو الفرج الإصفهاني / مقاتل الطالبيين

٨) نور الدين الشاهرودي / تاريخ الحركة العلمية في كربلاء / دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع / الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

٩) الشيخ محمد بمن الحسن الطوسي / أمالي الطوسي

١٠) الشيخ محمد بن الحسن الطوسي/مصباح المتهجد

١١) علي بن الحسين المسعودي / تاريخ المسعودي

١٢) محمد حسن مصطفى الكليدار آل طعمة / مدينة الحسين، مختصر تاريخ كربلاء

١٣) الشيخ محمد طاهر السماوي / مجالي اللطف / شرح علاء الزبيدي / مطبعة الأعلمي ١٤٣٢ هـ.

١٤) سلمان هادي آل طعمة / تراث كربلاء

١٥) جعفر الخليلي/موسوعة العتبات المقدسة / ٨ قسم كربلاء

١٦) ابن قولويه /كامل الزيارة ص.

١٧) ابن الطقطقى/الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية

١٨) تاريخ المراقد: محمد صادق محمد الكرباسي